

تشوما المجرم الخطير

جمعة آلام وعيد القيامة بأحدى معتقلات سيبيريا

فتى في السادسة عشرة من عمره من قطاع الطرق الخطيرين كان ما يزال يقضي عقوبات جرائمه المتتالية بمعسكر أوستفيمبوك بسيبيريا. كان فخوراً بسجله القضائي المزدهم بعدد من الجرائم التي صدر الحكم بإدانته عليها. كان بجانب اسمه الحقيقي المدون رسمياً نيقولاس نأوموف لقب خاص يحمله منذ وقت طويل هو (تشوما المجرم الخطير) وهذا كان في المعسكر اعتباراً مرموقاً. كان نشيطاً كثير الحركة يغلب عليه الدهاء والمكر ولا تعوزه الحيلة في كل ما يشاء أن يعمل. كان يجرد رفاقه في السجن من أي شيء بسيط يملكونه في لمح البصر، حتى جعلهم بعد ذلك يشكون دائماً من أن الكميات المحددة لهم من الخبز أو السكر لا تكفيهم. كان مثاله الأخلاقي الذي يسلك بمقتضاه ولا ينحرف عنه هو مبدأ زعماء العصابات: "ما هو لي هو لي، وما هو لك أيضاً لي".

كان الكل يخشاه، وهو بدوره لم يكن مستعداً أن يعرض نفسه لخطر الموت جوعاً أياً كان الثمن. منذ ثماني سنوات خلت كان قد اعتاد أن يتجول في الطرق العامة ليسلب العابرين كلما أمكنه ذلك. وعندما استُجوب أمام محكمة الأحداث: "أين والداك؟" أجاب بلهجة مثيرة للشفقة: "ليس لي والدان!" فتساءل القاضي مندهلاً: "كيف يكون هذا؟" "هذا صحيح، ليس لي أب ولا أم. فحينما كنت طفلاً جاءوا إلى البيت ليقتلوا أبي، أما أنا فأخذوني إلى أحد بيوت تربية الأطفال (على الإلحاد بحسب النظام الشيوعي). فليس لي إذن لا أب ولا أم!"

كان بالمعسكر شيخ لطيف يبدو على سماته الهدوء والوداعة، ذو لحية بيضاء ونظارة طبية عادية لا تغري أحداً. من أول يوم رآه تشوما وضعه في الحسبان ليكون أحد فرائسه. ففي إحدى مرّات التزاحم على باب "الكانتين" الخاص بالسجن رأى هذا الإنسان الطيب وكان نظارته طارت في الهواء بطريقة سحرية عجيبة ونزلت في جيب تشوما. أما الشيخ المسكين فلم يقدر أن يرى بوضوح وكان يتعثر في كل خطوة حتى إن جبهته العريضة امتلأت بالتورمات. اقترب منه شوما بعد أن حظي بنظارته هامسه قائلاً: "أعطني حصتك من السكر فأرد لك نظارتك. وكان الرد التلقائي هو نفس الابتسامة ونفس "الشكر الحار".

وفي أحد الأيام، بعد أن استرد هذا الشيخ نظارته من هذا الفتى المحتال قال له: "اسمع يا تشوما ما المنفعة التي ستعود علينا من تعقيد الحياة؟ الأفضل أن نعمل اتفاقية معاً: "لا تعد تأخذ مني نظارتي، وأما من جهتي أعدك سأعطيك بصفة منظمة حصتي من السكر.

لم يقدر تشوما أن يثق تماماً في كلام الشيخ وظن أنه يخبئ وراءه شيئاً، ومع هذا أغراه الاقتراح، لأن لذة المغامرة والمرح للقيام بعمل بطولي قد بدأت تضعف عنده بسبب كثرة التكرار، فقال لصاحبه: "هذه أحسن فكرة ولا مانع عندي من تنفيذها." وافق تشوما مبدئياً على هذه المعاهدة ولكن اضطرب في داخله. فقرر في يوم ما أن يبوح للشيخ بما يدور في نفسه فبادره بالسؤال: "لماذا أيها الرفيق لم تغضب عليّ ولا مرة واحدة؟ أو لم لا تذهب على الأقل لتشتكي عند القيادة العامة؟"

ابتسم الشيخ وقال: "إذا ما فعلت هكذا يا ولدي فهذا لن يجعلك أفضل حالاً مما أنت عليه!"، صرخ توما وهو في غاية الاندهاش: "ولماذا تودني أن أصبح أفضل؟"، أجاب الشيخ: "ذلك لأنني أحبك، ودائماً بطبيعة الحال إذا أحب أحد آخر فإنه يود له أن يصير على أحسن ما يرام؟".

أنذهل تشوما لأنه لم يعتقد أن إنساناً ما يحبه! إلا إذا تذكر أمه كما في حلم التي كانت تحتضنه وهو طفل صغير وتهدهده. . .



لم يكن أحد يحبه فعلاً، لأن كل من كانوا حوله كانوا يرهونونه، ففي "بيت الأطفال" لم يكن إلا صاحب الرقم المرعب بالرغم من الأنظمة والقوانين المحكمة والدقيقة! وفي سن الثامنة لم يقدر أن يواصل الإقامة هناك وهرب ليلاً تاركاً نفسه لأي تيار يجرفه. . . منذ ذلك الحين لم يكن له بيت يأوي إليه إلا الشوارع والأرصفة؛ ولا أصحاب له إلا رفقاء السوء من المنتشردين الذين لا يمكن للمرء أن يحتفظ بمكانته بينهم ويحظى باحترامهم له إلا إذا احتفظ دائماً معه بخنجر حاد! كان في تلك الفترة من الزمن كثير من الأطفال الروس يجوبون الطرقات هائمين على وجوههم بلا دار ولا مأوى. ولما طال بهم التشرذم أضحوا كالجوارح الصغيرة. . .

احترت تشوما، ولم يفهم لماذا يبتسم له بلطف هذا الشيخ الوقور، وما العلة في أنه يتكلم معه بغاية الأدب والذوق وهو معروف تماماً أنه لص سجين. ينبغي أن يكون هناك حدوداً للتعامل معه أو لتكريمه. على أي حال منذ ذلك الوقت أبى هذا الغلام إباء تاماً أن يستحوذ على السكر.



بدأ هذا الشيخ اللطيف يشغل بال تشوما بتزايد ملحوظ، حتى إنه كان يعتمد أن يتقابل معه في الطريق وكأنه "بالصدفة" لكي يطرح عليه ما يجول في خاطره من أسئلة. . . يوماً سأله عن اسمه في العالم قبل أن يدخل المعتقل فعرف إنه كان يُسمى "الأب فالير". فعرف نفسه هو بالتالي قائلاً له: "وأنا أدعى نيقولا واسمي المدون بالكامل في جواز سفري "نيقولا ناوموف"."

كان سجناء معسكر أوستفيميوك مرة ذاهبين ليعملوا بقطع الأخشاب (في الغابة القريبة منهم) فقال الأب فالير لرفيقه: دعنا نرافقهم معاً وهناك سيكون لنا فرصة أطول للحديث. فرح تشوما وقال: "ولم لا؟".

وفي أثناء الوقفات القصيرة التي كان يُسمح بها للمُدخنين كان تشوما يجلس على جذع شجرة بالقرب من الشيخ الطيب، وبينما كان يلف سيجارته لاحظ أن صديقه لا يدخن فقال:
 -"لماذا أيها الأب العزيز لا تدخن في حين أن كل الناس هنا يدخنون؟"
 -"هذا ليس من ضروريات الحياة فيمكننا أن نتجاوزه لأنه لا داعي له، ثم إن الإفراط في التدخين هو مضرٌ للصحة بوجه عام."

-"لكنه مستحب لديّ جداً! لأنني بدأت أدخن منذ أن كنت في الثامنة من عمري. فكنت ألتقط أعقاب السجائر من صندوق القمامة".

- "وهل كان هذا يجعلك مسروراً؟"
 -"لا، لا وإنما كان يثير في الميل للغثيان في البداية، ولكن بعد ذلك تجرأت وتعودت على التدخين".
 -"أما أنا فلم أعود على التدخين، فمن أول سيجارة دخنتها فكّنت جدياً وبتعقل فرأيت أن هذا في الحقيقة غباء أن أجعل نفسي عبداً للتدخين. . . طوال الحياة!"



قطب تشوما وجهه أسفاً على ماضيه، فهذه الفكرة لم تخطر على باله من قبل. بدأ يُستثار فيه حب المعرفة وأخذ يهرب من نظرات الأب فالير، التي كانت تبدو له من خلال نظارته المحدبة أنها تخترق أعماقه، فيوماً ما لما يقدر أن يمسك نفسه أكثر عن الكلام سأل رفيقه الشيخ:

- "أيها الأب العزيز ما الذي أتى بك إلى هنا لتكون بيننا نحن الأشقياء بحق؟"

- "إنني هنا يا نيقولا، من أجل إيماني بالله".

- "الإيمان بالله؟ قالها تشوما وهو في غاية الاندهاش. إذن أنت جاسوس؟"

- "يتهمونني بذلك لأنهم يريدون أن يجدوا علةً (ظاهرة) ليحاكموني بسببها".

- "بناءً على ذلك فأنت لست جاسوساً؟"

- "لا يا ولدي لست جاسوساً، ومهمتي الدينية التي كنت أمارسها لم تكن في الخفاء بل في العلانية، ولكن الذين يريدون أن يبعثوا الإنسان عن الله، فالإيمان بالله عندهم جريمة. من أجل هذا أنا هنا".
- "ولكن ما هي مهنتك؟"
- "كاهن (أبشر بحقائق الإيمان لمن لا يعرفونه)".

بدأت محبة تشوما وثقته في صديقه الجديد تزداد أكثر فأكثر فرد عليه على سبيل المداعبة:
- "أما أنا فمهنتي الأساسية {لص}، ولكن أوكد لك إنني لص طيبٌ وأجيد مهنتي تماماً".
ابتسم الأب فالير:

- "منذ متى وأنت تمارس هذه. . . الحرفة؟"
- "منذ أن هربت من {بيت التربية الجماعية للأطفال}. في البداية تعودت أن أسرق لأسدَّ جوعي. أما بعد ذلك فكنت أمارسها كنوع من الرياضة وحب المغامرة فكنت أسلي نفسي بأن أخدع الناس، وكل مرة كنت أنجح فيها كان يغلب عليَّ المرح."
- "وقبل أن تُودعَ في {بيت تربية الأطفال}؟"

- "لا أتذكر شيئاً، لأنني كنت طفلاً صغيراً (٤ سنوات). وكل ما أعرفه أنهم قتلوا والدي أما أمي فقد أودعوا السجن. ربما تكون الآن قد أطلق سراحها، ولكنني أخجل أن أبحث عنها وأنا على هذه الحال. والدي كانا من الطبقة البورجوازية، فهم يعتبرون من أعداء الشعب".
- "الأم هي دائماً أم! قالها الأب فالير بلطف وهذوء، وما من أحدٍ أحبَّك مثل حبها لك. ولن يحبك أحدٌ مثلها، بل وأكثر منها بلا شك، إلا {والدة الإله} التي حبها لك انعكاس من حب الله لك. . ."

كلمات الأب فالير هذه فتحت أمام تشوما باب الأمان. . . وبدأت تطغي عليه أحاسيس جديدة، نوع من الندم، ومن الخجل. . . ثم هذه الذكرى المعذبة وهذا السؤال المحير: "أمه هل هي قيد الحياة، أو أنها ماتت؟" وفجأة خطرت على فكره كلمة {يتيم} التي طالما سمعها دون أن يفهم معناها. ولكن الآن بدأت تأخذ عنده أبعاداً جديدة لا تقبل الشك مطلقاً.

قابله الأب فالير صباح اليوم التالي فلما وجده، على غير المعتاد سأله:
- "تشوما لماذا تبدو كئيباً. . .؟"

لم يجب بشيء وهم بالانصراف، فخطرت على بال الأب فالير فكرة رائعة وفي الحال عرضها عليه.
- "نيقولاس، أتريد أن تتعلم القراءة والكتابة؟"
- "وما الفائدة التي تعود علي من ذلك؟"
- "يمكنك أن تقرأ الجرائد اليومية. . . والكتب. بل وأيضاً تقدر أن تكتب إلى أمك".
- "وما جدوى ذلك؟ ربما تكون قد ماتت".
- "وكيف تتيقن من هذا؟"

منذ ذلك اليوم، بعد إعداد الأكل للجنود وأعمال التنظيف المرهقة اعتاد كلاهما أن يتقابلا معاً في أقصى المعسكر. الأب فالير ومعه قطعة من الفحم كان يرسم بها الحروف الأبجدية على أية ورقة يجدها وكان تشوما يرددها بصوت منخفض. . . حتى أتقن القراءة والكتابة. . .



في الخريف أصيب تشوما بنوبة شديدة من البرد، ولم يكن هناك مستشفى، وأمثاله كانوا يموتون من سوء الرعاية عندما كان يقبل عليهم الشتاء ببرودته الشديدة القارصة. بيد أن الأب فالير أخذ على عاتقه أن يعمل كل ما في طاقته لرعايته والسهر على العناية به. فكان يجمع بعض الأعشاب ويسلقها ثم يطعم مريضه المسكين الذي كان يعاني ويئن من الحمى الشديدة كأم تغذي رضيعها. لم يشاهد تشوما مثل هذه المعاملة الرقيقة قط. وحاول عبثاً أن

يعرف ما هي الدوافع الأساسية لهذا الاهتمام الفائق. ولكن في يوم ما بعد أن عبر المرحلة الخطرة سأل ممرضه بلهجة جادة:

- "لماذا تعمل معي كل هذا؟"

- "وماذا عملت؟ قالها الأب فالير بنوع من الاندهاش."

- "نعم إنك تدلني كما يدل صغار الأطفال."

- "هذا يا ولدي يدخل أيضاً في صميم عملي."

تجهم تشوما وبذل مجهوداً واضحاً لكي يفهم ما يعنيه هذا الكلام ثم قال:
- "إذن، أوضح لي ولو قليلاً عن اختصاص مهنتك".

بدءاً من هذا اليوم شرع الأب فالير {يشرح} لتشوما، أ، ب، ت ... المسيحية، وهي المحبة الأخوية التي كان يُعطي له مثالها عملياً."

عندما تعافى تشوما تماماً، أخذ يستغل كل لحظة يكون فيها كلاهما حُرَّين من العمل (بعد الانتهاء من تنفيذ أوامر التكليف) ليستفيد من معلمه. أما الأب فالير فباحتراس شديد للغاية كان يخرج من تحت قميصه الخارجي كتاباً قديماً ملفوفاً بعناية بخرقه بالية، وكان يقرأ له منه بصوت منخفض كلام الإنجيل؟ بينما كان تشوما يجلس ويُصغي منتبهاً. وكان كله آذان، إلا أنه لم يقدر أن يطبق جيداً ما يسمعه بسبب عوائده القديمة التي لم يكن قد رجع عنها. ولكن قليلاً بدأت روحه تنتعش وقلبه يستيقظ، وأخذت تندفع إلى وعيه ذكريات كثيرة . . .

قال له الأب فالير:

- "أكيداً أنك قد تعمدت في طفولتك يا نيقولاس، وهذا هو ما ينير بصيرتك ويفتح أذنك وقلبك."

كان مما أثر في تشوما بشدة وجعله في قمة الفرح هو قصة اللص اليمين، فما أن سمعها حتى صاح بابتسامة عريضة، أترى أيها الأب العزيز كيف كان يسوعك (الذي طالما تكلمني عنه) يحب اللصوص وقطاع الطرق!

- إنه يحبنا كلنا، جاوبه الأب فالير ووجهه يشع بالفرح، ثم أضاف: "ولكنك على حق فيما تقول لأن يسوع فعلاً يراعي الخطاة بأكثر سخاء، لأنهم أكثر حاجة لحبه وحنانه.

- "إذن يسوعك يحبني! هل أنت متأكد من هذا؟"

- "أترى هذه الأرض التي نحن جالسون عليها ونحسها بأقدامنا! إنني أكثر يقيناً من حبه لك . . ."

كان هذا يفوق إدراك تشوما الروحي الذي بالكاد بدأ يتفتح، فعلق على كلام محدثه:

- "بناء على ما تقول، أيها الأب العزيز، يلزم أن يجاهد الإنسان ليكون لئلاً إذا كان يسوع يحب أمثالنا

بصفة مميزة ويذهب بهم إلى الفردوس . . ."

حاول الأب فالير بصبر بالغ أن يعيد "شرح" موقف "اللس اليمين"، أنه عندما كان يسرق ويقتل لم يكن

يعرف بعد ذلك الذي سيخلصه! كذلك أنت يا نيقولاس كنت تسرق عندما كنت لا تعرف يسوع . أما الآن فأنت

إنسان آخر وحالتك تختلف عن ذي قبل:

- "الآن يا نيقولاس ليكن في علمك أنك إذا فعلت الشر فكأنك تصلب يسوع مرة أخرى.

الوقت الذي كان يتحدث فيه الأب فالير لصديقه كان هو بداية الربيع، وهو أيضاً موسم الصوم الكبير (قرب

نهايته) فكانت فرصة مناسبة لأن يقرأ ويشرح قصة "الآلام" لتشوما هذه التي لم يكن قد عرف مضمونها بعد، فما

أن أدرك غايتها الخلاصية حتى صاح مندهشاً:

- "إذن فهل صحيح، إنه مات ليخلصني؟ هل هذا ممكن؟"

- "نعم، إنه قد مات من أجلك، وبهذا أعطانا مثلاً للحب الحقيقي لكي نعطي نحن أيضاً حياتنا من أجل إخوتنا.

مرت برهة من الصمت كان تشوما بتفكر فيما قد سمعه لتوه؛ بعدها سأل رفيقه الشيخ:
- "قل لي إذن، أيها الأب العزيز وأنت أيضاً هل يمكنك أن تعطي حياتك من أجلي؟"

ابتسم الأب فالير وقال:

- "بكل تأكيد! لأن هذا أيضاً من صميم عملي".



في بدء الموسم الربيعي لتعويم الأخشاب ونقلها عن طريق النهر، ثم شحنها بعد ذلك في السفن الكبيرة، جرى حادث مؤلم في معسكر أوستفيميوك، ففي إحدى هذه الشحنات الثقيلة التي لم ترص جيداً تفككت الربط ومن ثم اختل توازن المركب واندفعت الأخشاب جهة النهر. كانت صدمة رهيبية، صرخ تشوما وفي قفزة واحدة طار إلى مكان الحادث. فإذ به يشاهد الأب فالير مطروحاً على ظهره، وقطعة خشب كبيرة تكاد تسحق صدره. ومن في المنفتح قليلاً كانت تخرج فقايع حمراء. . وكانت عيناه مفتوحتين عن آخرهما. لم يُبد أي حركة. وبدأ الدم يسيل من فمه بغزارة.

في سرعة خاطفة أعدّ تشوما محملاً (نقالة)، وأسرت كل الفرقة العسكرية للاشتراك معه في إنقاذ المصاب. فنقلوه إلى المنطقة التي فيها الطبيب المسئول الذي قرر في الحال أنه ليس في مقدوره شيء يعمله للإسعاف، لأن "كل القفص الصدري والرئتين انعجنوا معاً".

لم تقدر لا التوسلات ولا التهديدات أن تجبر تشوما على ترك سرير المحتضر. وإذا كان جالساً القرفصاء على الأرض أمام السرير كان يبكي بدموع حارة.

بغثة فتح الأب (الموشك على الرقاد) عينيه وقال بصوت قوي:

- "اليوم هو الجمعة العظيمة!"

ثم التفت إلى تشوما الذي كان ينتحب بشدة، وقال له:

- "كف عن البكاء يا نيقولاس! فما أنت ترى أن الموت ليس شؤماً ولا هو بلية ولا سيما اليوم."

رفع تشوما رأسه متحيراً ومندهشاً لهذه المفاجأة وهذا الكلام وتساءل:

- "ولماذا اليوم بصفة خاصة؟"

- "وأنت أيضاً ستموت بالمثل (من أجل هذه الغاية عينها)؟"

- "نيقولاس أنت لا تفهم الآن، ولكنك ستفهم فيما بعد! والآن حيث أنك تعرف جيداً أن تقرأ وأن تكتب،

أرسل فوراً بعد موتي، رسالة إلى السلطة السوفيتية العليا، حتى يبحثوا لك عن الدتك. لا بدّ أنها في توك شديد لرؤياك...

كان تشوما يسمع دون أن يعي جيداً ما يُقال له. كانت الكأبة الشديدة ملحوظة على ملامح وجهه وفجأة

طفق يقول:

- "بناءً على ما صرحت به لي سابقاً، فهل من أجلي أنت تموت الآن يا أبي؟"

ولكن الأب فالير كان قد أقفل عينيه لتوه. ثم أسلم الروح.

فأخذ توما ينتحب بمرارة مؤثرة للغاية.

حاول رفقاًؤه عبثاً أن يبعده عن المكان، فلم يشأ أن يترك جثة أبيه وصديقه ولا دقيقة واحدة. فبقي بجانبه

يفكر بعمق وإذ به يرى وجه الأب فالير عليه مسحة من السلام العجيب ويبدو وكأنه يلعب بنور بهي.

عندما جاء المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة، وهم من أشرس المسجونين، ليروه أحسوا فجأة بالهيبة والخشوع فأخذوا يرشمون أنفسهم بعلامة الصليب رافعين قبعاتهم (توقيراً).

دُفِنَ هذا الأب الوقور في سَحَر اليوم الثالث من انتقاله. كم كانت دهشة وذهول المعسكر كله عندما فوجئوا بهذا التطابق العجيب، إذ كان هذا اليوم هو عيد القيامة المجيدة، فأحسوا جميعاً أنهم أُشركوا في أفراسها سراً.

كانوا وقوفاً كلهم بلا ترتيب أو نظام بجانب الحفرة التي احتفروها على الفور وجاءوا ليودعوا الأب فالير في مثواه الأخير.

لم يَعد تشوما يبكي بعد، وبينما كان الرفقاء يطمرون المقبرة جرى إلى أعلى مكان يطل على المعسكر وصاح بصراخ شديد بكل قوته:

"كريستوس فوسريزي! المسيح قام!"

أحس الجميع فجأة بالهيبة، ثم أنهم بصوت واحد كان يطن كالرعد ردد الجواب كل المساجين ومعهم كل الجنود الحراس: "فواستينو فوسكريزي! بالحقيقة قام!"

وهكذا افتقدت النعمة بغتة معسكر أوستفيميوك فكان لهم عيد قيامة حقيقي.



بمناسبة عيد الفصح أعطي نفس اليوم لكل المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة راحة من العمل، فانتهاز نيقولاس نأوموف الفرصة وأخذ ورقة بيضاء وبدأ يكتب عليها أول رسالة في حياته. كان يرص الكلمات بصعوبة في خط مستقيم، ولكن بعناية شديدة بقدر إمكانه.

"إلى السلطة السوفيتية العليا" خطها نيقولاس بيد باردة (فاقد الشعور)، "أنا في السادسة عشرة من عمري، والدتي. فصلت عنها عندما كان لي ٤ سنوات. ربما تكون حيّة. أتمنى أن أعود فأراها. أيها الرفقاء، ابحثوا لي عنها وإذا وجدتموها أعلموني بذلك. على أن أبقى أيضاً في المعسكر ثلاثة شهور. ودمتم في سلام! نيقولاس نأوموف".



في يوم عيد القيامة هذا، في إحدى مدن الولاية كانت امرأة ما زالت بعد شابة، يبدو عليها الحزن وسمات الألم المبرح، تعودت أن تأتي لتصلي أمام أيقونة والدة الإله سيدة كازان. وكانت خدمة القداس تُقام حتى نهايتها في الكنيسة الصغيرة التي كانت تمتلئ عن آخرها بالمصلين. وبعد أن ختم الكاهن المتقدم في السن قداس العيد أتى ليُطلق مرة أخرى صيحة البهجة التي تُميز في الشرق قداس عيد القيامة: "المسيح قام!" والرد التقليدي المتفق عليه برأي واحد هو دائماً: "بالحقيقة قام!"

والآن بعد أن خلت الكنيسة تدريجياً من المصلين بقيت المرأة المسكينة المثقلة بالحزن وحدها، وكان يبدو أنها فقدت الإحساس بمرور الوقت. كانت عيناها شاخصتين في أيقونة والدة الإله، ومثبنتين على وجهها الوديع. كانت تصلي بدون كلمات، ومنذ أن بدأت تصلي، ألقت بهمها على نعمة الله المقتردة والكفيلة بكل شيء . . .

اثنتا عشرة سنة مضت منذ ليلة الهول والرعب عندما صرغ زوجها وانزع منها بالقوة ولدها الوحيد البالغ من العمر أربع سنوات، طفلها نيقولاس الذي لم تراه منذ تلك الليلة الحزينة! هل ما زال بعد على قيد الحياة؟ أم عليها أن تبحث عنه في سجلات مداخل الأضرحة العامة؟ لم تكن تعرف إلا أمراً واحداً، أن "البوجاماتيير"

(والدة الإله) هي مقتدرة على عمل المعجزات، اعتماداً على ابنها وإلهها. إنها اختبرت أشد الآلام وأبرحها وتقدر أن تترك قلب الأم . إنها كانت واقفة تحت الصليب، ولكن هوذا "المسيح قد قام"، بل وتجلى في المجد.

- "يا كلية الطهر والقداسة يا أم إلهي، اليوم هو عيد القيامة، وها أنا أعاني من ضيق شديد. ابنك قام وأنا لا أعرف إن كان ابني حيا بعد أم لا؟ يا أمنا سيدة كازان تحنني علي!"

وبغته، بعد هذه الصلاة القصيرة، أطلقت صيحة وتقدمت قليلاً للأمام لتتحقق مما تراه، فالمكان الظليل تحول فجأة إلى ضياء ساطع، كان مصدره هو الوجه الوديع الذي لوالدة الإله الذي صار "كله نور". كانت تبتسم لها بحنان يفوق التعبير. كم من الوقت دامت هذه الرؤية؟ لم تعرف أبداً أن تجيب على الأسئلة التي وجهها إليها الأب الكاهن. لم تكن تعرف إلا شيئاً واحداً، العذراء الكلية الطهر ابتسمت لها، إذن فابنها ما زال حياً، لقد استجيب لتوسلاتها!

أما رسالة تشوما "المجرم الخطير" الذي أصبح نيقولاس ناوموف، فقد سارت في كل القنوات الإدارية حتى وصلت إلى سجلات الأمهات اللاتي يبحثن عن أولادهن المفقودين أو التائهين عقب الواجهات الحربية أو بعد أعمال القمع للثورات الداخلية.

نحن لا نعلم تماماً في أي يوم التقيا. ولكن يمكننا أن نقول بلا أدنى ريب أن اللقاء قد تم في وقت معين بحسب تدبير العناية الإلهية.

كل ما تقدم أخذناه من شهود ثقة. . . ونحن بدورنا نؤكد بكل صدق أن كل الحوادث التي رُويت في هذه القصة هي حقائق واقعية والأسماء كما جاءت بالضبط هي لأشخاص حقيقيين. وهذا لمن أراد أن يتثبت أكثر من الحقيقة.

